

الفصل السادس
الشق الميداني من البحث
الحياة العلمية في عصر الخليفة الناصر لدين الله العباسي
(أداة البحث)

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

خطاب تعريف الباحثة

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظه الله

سعادة /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد..

كان أمر هذه الاستبانة مجرد خاطرة خطرت على ذهني كباحثة : ولماذا لا يستخدم الباحث التاريخي الاستبانة كأداة لجمع المعلومات مع توظيفها بالشكل المناسب في البحث التاريخي ، وتحولت الخاطرة إلى حقيقة عندما أخذت رأي بعض أساتذتي الأفاضل ؛ فمنهم من سخر من الفكرة ، وبعضهم تحفظ ، ومنهم من أيدها شريطة أن تحافظ الباحثة على حقوق الملكية الفكرية لأصحابها ، ومن البديهي أن تظل أخلاقيات البحث العلمي في أسمى منزلة.

إن الباحثة تتناول موضوع :

"التحيزية العنصرية في بغداد في عهد الخليفة الفاضل لدين الله البغدادية"

(١٣٢٥ - ١١٨٠ هـ / ١٩٠٧ - ١٩٢٥ م)

وعلى الرغم من الظروف السياسية السائدة ؛ والأوضاع المتدهورة للخلافة العباسية في عصرها الثاني ؛ فإن فترة حكم الناصر أثارت بعض الجدل ، واختلف حولها المؤرخ والباحث . من هنا . والحالة هذه . فقد تمنيت أولاً أن تشير فكرة الاستبانة اهتمامكم ، وتمنيت ثانياً أن تنال مجموعة التساؤلات البحثية عنايتكم أيضاً .

ويطلب لي أن أوضح لكم أن المعلومات التي ستتفضلون بمنحها إليّ ستعالج في ملحق خاص في نهاية الدراسة في إطار معالجة إحصائية مناسبة ، المصدّر منها إشارة رأي عام بحثي ازاء ظاهرة معينة في البحث التاريخي ، ولذا فضلت مخاطبة أعلام التخصص بأسمائهم وصفاتهم مع السماح لي بذكر الاسم ، والدرجة العلمية ، ومحل العمل في المكان المناسب من الدراسة ، كما أتعمد ألا أستخدم المعلومات الواردة بنسبتها لغير صاحبها ، وأعد بتزويدكم بنسخة من الرسالة حال مناقشتها بإذن الله تعالى .

كما أرجو التكرم بإرسال الإجابة على العنوان الموجود على المظروف المرفق بأسرع وقت ممكن .. مقدرة وشاكراً لكم جهودكم الطيبة وتعاونكم معي .

وتفضلوا بقبول شكري وتقديري *

الباحثة

رفقة محبي التاريخ

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

خطاب الاعتماد من الجامعة

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING ABDULAZIZ UNIVERSITY
Faculty of Arts and Humanities



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك عبدالعزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

Ref.

Date

Each

رقم ١٨٠ / ٥

التاريخ ١٨ / ٥ / ١٤٢٤

المرافقات

إلى من يهمه الأمر

بفيد قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبد العزيز بأن الطالبة / رفة بنت سعيد الغامدي ، إحدى طالبات الدراسات العليا بمرحلة الماجستير ، وهي بصدد إعداد رسالتها وإتمام جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع رسالتها بعنوان " الحياة العلمية في بغداد في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي ٥٧٥-٦٢٦ هـ " ، والقسم يأمل من الجهات ذات العلاقة تسهيل مهمة حصولها على المعلومات والمراجع والوثائق كما أن الطالبة قد أعدت في سابقة بحثية في علم التاريخ استبياناً حول موضوع البحث وأبعاده ، نرجو التكرم بمساعدتها وإبداء كل تعاون معها .

والله الموفق .،،،،

رئيس قسم التاريخ

د. عمر بن يحيى محمد



تلكم ١٠٠٠٠٠٠٠٠
Telex 001141 Kauni SJ

رئيس جامعة الملك عبد العزيز
Cable jamestabadulaziz

١١٥٢٩٣٠ ٥٢
Tel. 0952930

P.O.Box 58212 Jeddah 21529

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

القسم الأول : البيانات الأولية:

الاسم:

.....:الدرجة العلمية

التخصص الدقيق:

.....: الجامعة

.....الكليّة:

.....إضافة:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

القسم الثاني : البيانات المطلوبة:

أرجو التكرم بإبداء الرأي بـ (نعم) أو (لا) ثم تعليل الإجابة عن التساؤلات التالية:

☐

١ - في عهد الخليفة المستضيء (والد الخليفة الناصر) انتكست الخلافة

التعليق:

.....

.....

.....

☐

٢ - أعاد الخليفة الناصر للخلافة هيبتها بعد نكسة

التعليق:

.....

.....

.....

☐

٣ - وحدّ الخليفة الناصر العرب والمسلمين

التعليق:

.....

.....

.....

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

☐

٤- انشغل الخليفة الناصر عن دعم صلاح الدين في جهاده ضد الصليبيين

التعليق:

.....

.....

.....

☐

٥- يقول بعض المؤرخين أن الخليفة الناصر تشيّع

التعليق:

.....

.....

.....

☐

٦- حاول التقريب بين المذاهب فاتهموه بالتشيع

التعليق:

.....

.....

.....

.....

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

٧- أطاعه الشيعة الإسماعيلية فأنشأوا المساجد واعترفوا له بالخلافة

التعليق:

.....

.....

.....

.....

٨- أنشأ مدارس للشافعية وأربطة للصوفية مما ينفي تشييعه

التعليق:

.....

.....

.....

.....

٩- يقول البعض أنه السبب في قدوم المغول وأنه سمح لهم بالدخول

التعليق:

.....

.....

.....

.....

.....

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

☐

١٠ - سوء تقدير علاء الدين خوارزم شاه وابنه جلال الدين من بعده هو السبب في هجوم المغول على الشرق الإسلامي

التعليق:

.....

.....

.....

.....

☐

١١ - حاول الخليفة الناصر وقف اندفاع الخلافة نحو الانهيار ونجح طوال فترة حكمه في ذلك

التعليق:

.....

.....

.....

.....

☐

١٢ - كان الخليفة الناصر شخصية متناقضة انشغل عن الحكم بنظام الفتوة

التعليق:

.....

.....

.....

.....

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

١٣ - قَرَّبَ إليه العلماء والأدباء والشعراء

التعليق:

.....

.....

.....

.....

١٤ - كان له مجلس علم وتدريس

التعليق:

.....

.....

.....

.....

١٥ - ألف الخليفة الناصر مصنفًا في الحديث بعنوان (روح العارفين)

التعليق:

.....

.....

.....

.....

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

١٦- تردد في بعض المصادر اهتمام الخليفة الناصر بالفلسفة

التعليق:

.....

.....

.....

.....

١٧- هل الدار المسماة بـ (المسناه) التي بناها الخليفة الناصر هي نفسها القصر العباسي في القلعة ؟

التعليق:

.....

.....

.....

.....

١٨- للخليفة الناصر الفضل في إخراج الخلافة من النفوذ الأجنبي

التعليق:

.....

.....

.....

.....

.....

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

١٩- عمّر الخليفة الناصر المساجد وبنى الأربطة وأوقف الكتب

التعليق:
.....
.....
.....

٢٠- كان للمرأة دور في الحياة العلمية في عصر الخليفة الناصر:

- لم يوضع اسمها على مؤلف حسب الأعراف

- ضاعت مؤلفاتها ضمن ما ضاع من كنوز

- ليس لها نشاط يُذكر

التعليق:
.....
.....
.....

٢١- هل لديكم إضافة تتكرمون بإضافتها؟

.....
.....
.....
.....

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

ثانياً: عرض وتحليل بيانات البحث ومناقشة نتائجها :

أ. البيانات الخاصة بعينة البحث .

جدول رقم (١)

توزيع عينة البحث حسب الدرجة العلمية

الدرجة العلمية	التكرار	%
أستاذ مساعد	٢٣	٦٢,٢
أستاذ	١٤	٣٧,٨
المجموع	٣٧	%١٠٠

الجدول أعلاه يبين توزيع مجتمع البحث من الفئة المبحوثة بالوظيفة التي يشغلونها وذلك حسب الدرجة العلمية، حيث نجد أن الغالبية منهم (٦٢,٢٪) في وظيفة أستاذ مساعد، بينما (٣٧,٨٪) في وظيفة أستاذ.

جدول رقم (٢)

توزيع عينة البحث حسب الدرجة التخصص الدقيق

التخصص	التكرار	%
تاريخ إسلامي عباسي	٢٩	٧٨,٤
موارد تاريخية	١	٢,٧
حضارة إسلامية	٣	٨,١
عصور وسطى	٤	١٠,٨
المجموع	٣٧	%١٠٠

الجدول الموضح أعلاه يبين تحديد التخصص الدقيق بالنسبة للعينة المبحوثة من الأساتذة حيث نجد أن غالبيتهم (٧٨,٤٪) من تخصص التاريخ الإسلامي العباسي يليهم الذين تخصصاتهم عصور وسطى وذلك بنسبة (١٠,٨٪)، أما أقل التخصصات الموضحة هي موارد تاريخية وكانت بنسبة (٢,٧٪).

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

بد البيانات المطلوبة :

١- للإجابة عن التساؤل الأول (هل انتكست الخلافة في عهد الخليفة المستضيء بنور الله (والد الناصر)؟ انظر إلى الجدول التالي رقم (٣).

جدول رقم (٣)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة

الاستجابة	التكرار	%
لا	٢٢	٥٩,٥
محايد	٠	٠,٠
نعم	١٥	٤٠,٥
المجموع	٣٧	%١٠٠

نلاحظ من النتائج المبينة أعلاه أن نسبة (٥٩,٥٪) من العينة المبحوثة يرون أن انتكاسة الخلافة لم تكن في عهد الخليفة المستضيء (والد الخليفة الناصر) بينما نجد أن نسبة (٤٠,٥٪) يقرون بانتكاسة الخلافة في عهده.

وهذه الموافقة الطفيفة رأت أن النصوص التاريخية تؤكد على أن الخليفة المستضيء لم يكن شخصية قوية ومع ذلك يمكن إدراجه في تعداد عصر نهضة الخلافة وذلك لأمرين : أولهما: أن الخلافة كانت بعيدة عن نزاع أمراء وسلاطين السلاجقة، ولم يعد الأمر راجع إلى قوة الخليفة بل إلى ضعف السلاجقة، أما الثاني: فإن هيئة الخلافة وسطوتها امتدت إلى أراضٍ وأقاليم جديدة كانت قد خرجت من طوع الخلافة منذ زمن بعيد، وهذا لم يتم بجهود الخلافة والخليفة وإنما بجهود بعض المخلصين من حكام الأقاليم مثل نور الدين زنكي، بينما (٤٠,٥٪) من العينة أقروا بانتكاس الخلافة في عهد الخليفة المستضيء واستشرء الفساد الإداري في عاصمة الخلافة، وانتشار الفتن والاضطرابات الداخلية^(١).

(١) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٩٠ وما بعدها؛ ابن الديبشي، ذيل مدينة السلام، ج ٣، ص ١٠٥ ؛ الفتح بن علي بن محمد البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ص ٢٧٧ وما بعدها.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

٢- للإجابة عن التساؤل الثاني (أعاد الخليفة الناصر لدين الله للخلافة هيبتها؟
انظر إلى الجدول التالي رقم (٤).

جدول رقم (٤)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة والذين يعتقدون أن
الخليفة الناصر أعاد للخلافة هيبتها من عدمه

الاستجابة	التكرار	%
لا	٢	٥,٤
محايد	٥	١٣,٥٥
نعم	٣٠	٨١,١
المجموع	٣٧	%١٠٠

وبالنظر إلى الجدول يتبين أن معظم أفراد عينة البحث (٨١,١٪) يتفقون على أن الخليفة
الناصر أعاد للخلافة هيبتها، وأن نسبة (١٣,٥٥٪) من المبحوثين يتحفظون على أن الخليفة
الناصر أعاد للخلافة هيبتها.

وهذه النتائج المرتفعة تؤكد ما توصلت إليه من نتائج تؤكد أن الخليفة الناصر نجح إلى
حد بعيد في ضبط أمور الاستقرار الداخلي في عاصمة الخلافة ونجاحه الكبير في السياسة
الخارجية لدولة الخلافة، حيث أجمعت آراء المبحوثين على أن فترة حكمه تعتبر أطول فترة
حكم مقارنة بجميع خلفاء بني العباس، إلى جانب امتلاكه كاريزما سياسة خاصة جعلته:

- ١- ينجح في الحد من نفوذ السلاجقة وبالتالي تلاشي نفوذهم.
- ٢- يجد من تعاضم قوى سياسية مناوئة للخلافة كالخوارزميين والغورية والقراخائية،
والشيعة الإسماعيلية وأخيراً المغول.
- ٣- يستخدم بذكاء أسلوب ضرب القوى بعضها البعض الآخر وتأليب الصغار على
الكبار وبالعكس.
- ٤- ملماً بأخبار السلاطين والأمراء وله نظام استخبارات قوي اهتم بمصالح الخلافة.
- ٥- يتعامل بحكمة وحنكة مع الأتابكة وأمراء الأطراف والخوارزميين.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

- ٦- جعلته وبنفس الحنكة والمهارة يرتب أوضاع عاصمة الخلافة داخلياً بالحد من الاضطرابات وإعادة الوئام الاجتماعي، ورفع مستوى معيشة الناس، والنهوض بالحياة العلمية نهوضاً شاملاً لا يستطيع أحد إنكاره^(١).
- ٣- للإجابة عن التساؤل الثالث (وحد الخليفة الناصر العرب والمسلمين)؟ انظر إلى الجدول التالي رقم (٥).

جدول رقم (٥)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة حول رأيهم في كون الخليفة الناصر قد وحد العرب والمسلمين

الاستجابة	التكرار	%
لا	١١	٢٩,٧
محايد	٦	١٢,١
نعم	٢٠	٥٤,١
المجموع	٣٧	%١٠٠

ومن نتائج الجدول المبينة أعلاه نجد أن نسبة (٥٤,١٪) من العينة المبحوثة يرون بأن الخليفة الناصر قد وحد العرب والمسلمين، بينما نجد أن نسبة (٢٩,٧٪) يرون بأنه لم يفعل هذا. وكانت آراء الموافقين تتراوح بين الأفكار التالية:

- ١- حاول توحيد العرب والمسلمين من خلال محاولاته التوفيق بين المذاهب الأربعة.
- ٢- حاول ذلك من خلال إنشاء وتفعيل وتطوير تنظيم الفتوة بمفهومه القومي وعدم قصره على بغداد.
- ٣- كانت علاقته بصلاح الدين في أحسن حالاتها ووافق على تلقيه بالناصر.

(١) أنظر: علي بن ناصر بن علي الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، لاهور: (د. ن)، ص ص ١٧٨، ٤٧٨ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ص ٢٣٦-٢٣٨ ؛ فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، الشارقة: (د. ن)، ص ص ٩١-٩٢ . وانظر الفصل الأول من دراسة رفعة بنت سعيد الغامدي، الحياة العلمية في عصر الخليفة الناصر (٥٧٥-٦٢٢ هـ / ١١٨٠-١٢٢٥ م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

- ٤- لعب دور الوساطة بمهارة بين صلاح الدين وأمير الموصل.
- ٥- خُطِبَ له في كل أصقاع المسلمين من الأندلس في الغرب إلى بلاد المشرق وحدود الصين.
- ٦- نجح في إخضاع السلاطين والأمراء وأنهى التسلط الأجنبي على الخلافة.
- ٧- بسط نفوذه على كامل العراق بما فيه من أكراد وأتراك وغيرهم.
- ٨- نجح في استخدام أسلوب الوساطة والسفارة والنشاط الدبلوماسي المكثف من خلال توظيف العلماء بما لهم من هبة واحترام في نفوس الجميع مما أدى إلى الحد من تفاقم الكثير من المشاكل الجانبية، وذلك بهدف رأب الصدع في الأمة لمواجهة الصليبيين مع صلاح الدين وإن لم تكن مشاركته في هذه المواجهة مادية وهذا أمر آخر يناقش في موضعه.
- وكان اللافت للانتباه من خلال استقراء آراء الباحثين أن الذين رفضوا كون الناصر قد وحد العرب والمسلمين قرروا الرفض دون إبداء الأسباب أو كتابة تعليق واضح إزاء هذا، والغالبية قالت نجح في توحيد العرب والمسلمين بشكل محدود.
- ٤- للإجابة عن التساؤل الرابع (انشغال الناصر عن دعم صلاح الدين في جهاده ضد الصليبيين)؟ انظر إلى الجدول التالي رقم (٦).

جدول رقم (٦)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة حول

انشغال الخليفة الناصر عن دعم صلاح الدين من عدمه

الاستجابة	التكرار	%
لا	٢٣	٦٢,١٦
محايد	٤	١٠,٨١
نعم	١٠	٢٧,٠٢
المجموع	٣٧	%١٠٠

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

وتوضح نتائج الجدول أعلاه أن نسبة (٦٢,١٦٪) من العينة المبحوثة ترى أن الخليفة الناصر لم ينشغل عن دعم صلاح الدين مثلما رَوَّج ابن الأثير باستخدام البندق ورعاية الحمام، بل على العكس كان هناك دعم من الخلافة لصلاح الدين، صحيح كان دعماً معنوياً، ولكن ظروف دولة الخلافة حينئذٍ لم تكن تسمح بأكثر مما فعل، ولعل الرسائل المتبادلة بين الخليفة وصلاح الدين تؤكد حسن العلاقة، وإذا كان الناصر لم يسهم مادياً في الحرب ضد الصليبيين فإن ذلك يرجع إلى انشغاله مع الذين أَرَقُوا الخلافة من السلاجقة والخوارزميين والذين كان كل همهم الاستيلاء على بغداد وإلغاء دور الخلافة وإسقاطها، ولم يبق له إزاء هذا إلا إرسال التهاني والدعاء للمناضلين والمجاهدين في الشام ومصر.

وظهر من خلال البحث أن صلاح الدين كان دائم التواصل مع الخلافة وإخبارها بكل فتوحاته، فلما استولى على حطين وعكا (٥٨٣هـ/١١٨٧م) أمر بالكتابة إلى ديوان الخلافة^(١)، وعند استيلائه على طبرية وقيسارية وحيفا ونابلس وصيدا وبירות غيرها من قلاع الشام أرسل كتبه للخليفة^(٢)، ومن رسالة من صلاح الدين إلى الخليفة الناصر وهو يستعد لمواجهة الصليبيين هذين البيتين اللذين يَتِمُّان عن حسن العلاقة بينهما:

قل للخليفة لا زالت عساكره لها إلى النصر إصدارٌ وإيرادٌ

إن الفرنج بحصن الطور قد نزلوا لا يغفلنَّ فحصن الطور بغداد^(٣)

ولما استولى على القدس رفع عليها شارة الخلافة ودعا للناصر على منابرها، ودعا لابن الخليفة بولاية العهد ونثر الدنانير وأرسل تحفاً وهدايا وأسرى من الفرنج والصليب والصلبوت الذي كان موضوعاً فوق قبة الصخرة، في هذا الوقت جاءه عتب الخلافة بدلاً من تهنئتها لأن صلاح الدين لم يرع حقها في البشارة عندما أرسل رجلاً مغموراً^(٤)، كما اكتفى في

(١) أبو شامة، ذيل الروضتين، دار الجليل، بيروت، ج ٢، ص ٨٥.

(٢) ابن شداد، سيرة صلاح الدين، القاهرة، (د. ن.)، ص ٧٦-٨٠.

(٣) أبو شامة، ذيل الروضتين، ص ١٠٣.

(٤) رجل مغمور: هو الرجل المجهول الخامل الذكر ويقال (مغمور فيهم) أي ليس بمشهور كأنهم قد غمروه. ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٨١، مادة غمر؛ لويس معلوف، المنجد في اللغة، تحرير: كرم البستاني وآخرون، ط ٢١، دار المشرق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٥٥٩.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

بشارة القدس بإرسال نجّاب، وسمح لنفسه أن يشارك الخليفة في نعوته وصفاته^(١)، وعندما طلب صلاح الدين النجدة من الخلافة كانت عبارة عن حملين من النفط الطيار^(٢) وحملين من القنا الخطي^(٣) وتوقيع بعشرين ألف دينار تقترض من التجار على الديوان وخمسة من الزراقين^(٤) النفاطين^(٥) المتقنين صناعة الإحراق بالنار^(٦).

وقد شاع بين العامة الجفوة بين الخليفة وصلاح الدين، وصار يتحدث عنها تهمة، وصارت وسيلة للوشاية ببعض كما حديث مع طاشتكين أمير الحج الذي وشى به أستاذ الدار ابن يونس على أنه يكتب صلاح الدين^(٧)، والخلاصة أن ملخص الجفوة ما يلي:

١- إرسال صلاح الدين رجلاً مغموراً لتبشير الخليفة فتح باباً للسعاية .

٢- إطلاق لقب الناصر على نفسه وهو لقب الخليفة.

٣- إيواء صلاح الدين لمن نفاهم الناصر.

٤- سكوت صلاح الدين عما أذيع عن تشيع الناصر.

تلك كانت بإيجاز شديد نبذة عن ملامح الخلافات التي وقعت بين الرجلين.. ويضاف إلى ذلك .. إن الخلاف الذي حدث بين صلاح الدين والخليفة الناصر لا يمكن تبريره لأحد

(١) أبو شامة، ذيل الروضتين، ج ٢، ص ١٢٠.

(٢) النفط الطيار: هو دهن معدني سريع الاحتراق توقد به النار . جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، لسان العرب، ط ٦، بيروت: دار صادر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج ١٤، ص ٣٢٥، مادة نفط.

(٣) القنا الخطي: هو الرمح المتخذ من القنا، وهو قصب مسدود من الداخل، ينبت ببلاد الهند يقال لواحد منه قناة، ويوصف بالخطي - بفتح الخاء المعجمة - نبة إلى الخط ؛ وهي بلدة بالبحرين تجلب إليه الرماح من الهند، وتنقل منها إلى بلاد العرب، أحمد أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ج ٢، ص ١٤٩.

(٤) الزراقين: جمع زراق وهو رامي النفط من الزراقة وهي الأنبوبة التي يزرق بها النفط. المقرئزي، السلوك، ج ١، ص ٤٩٨، حاشية ٢.

(٥) النفاطين: الذين يرمون النفط لإحراق حصون الأعداء . أنور الرفاعي، النظم الإسلامية، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٣٩.

(٦) العماد الأصفهاني، الفيح القسي، ص ١٩٤.

(٧) أبو شامة، ذيل الروضتين، ج ٢، ص ٢١١.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

الطرفين، فصلاح الدين قائد فذ وعقلية عسكرية من طراز فريد، والناصر لدين الله خليفة عباسي قدّم للإسلام وللمسلمين خدمات جليلة وسعى مخلصاً وبوعي إلى النهوض بالخلافة ما يجعل الباحث التاريخي يصاب بالدهشة لمواقفه إزاء صلاح الدين والتي اتفق عليها معظم المؤرخين، كما ولا يملك الباحث التاريخي مبرراً يدفعه لاتهم الناصر في دينه وفي صدق إخلاصه ونكوصه عن الجهاد مع صلاح الدين، ولا بد من الإشارة إلى عدد من الأمور - والتي لا تدفع في اتجاه تبرئة الناصر - وأول هذه الأمور في ظني : أن كليهما كان ضحية للحرب النفسية التي شنّها ضدّهما أعداء الإسلام آنذاك وأشياهم من أتابكة وملوك الأطراف فوقعاً ضحية للوشايات والسعايات، كما أكد ذلك أبو شامة، والسبكي^(١)، وكما تميل البحث إلى إلقاء اللوم على "أبو شامة" وهو المؤرخ الوحيد الذي روج لطلب الخليفة الناصر مساعدة صلاح الدين لضم تكريت إلى أملاك الخلافة^(٢) في حين أن العباد الأصفهاني والذي كان في قلب الأحداث ومقرب لصلاح الدين لم يشر في "الفيح القسي" إلى الرسالة المتضمنة هذا الطلب أصلاً، وإن كان قد أشار إلى مساومة أخرى من الخلافة لصلاح الدين^(٣)، وهناك أمر آخر جديرٌ ذكره وهو تهاون صلاح الدين في الرد على من روج لتشيع الناصر في الشام - وهو جزء من الحرب النفسية التي أشرت إليها - وهو بلا شك يضعف من موقف الناصر وهيبته وهيبة الخلافة أثناء جهاد المسلمين للصليبيين، الأمر الذي يصب معنوياً وسياسياً في مصلحة الأيوبيين ويجرد الخلافة من أي دور وهي التي سمحت لصلاح الدين بحماية خطوطه الخلفية من خلال استيلائه على أتابكيات الجزيرة، وباركت كل الخطوات التي كان يتخذها إزاء الصليبيين والتي كانت تصل للناصر من خلال الرسل والرسائل المتوالية التي توحى وتؤكد أن جيش صلاح الدين هو جيش الخلافة، ونظن أن

(١) أبو شامة، ذيل الروضتين، ج٢، ص ١٢١ ؛ عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، القاهرة : مكتبة الحلبي، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م، ج٤، ص ٣٤٠.

(٢) انظر: أبو شامة، ذيل الروضتين، ج٢، ص ١٧٨.

(٣) انظر: محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العصر العباسي الأخير، بغداد : مطبعة القضاء، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ٢٦٦.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

هذه الواقعة لا تقل عن تلك التي روج لها "ابن الأثير" بادعاء إيعاز الناصر لجانكيز خان بإسقاط الخوارزميين، وأظن أخيراً أن عوامل نفسية اعتمدت في قلبي الرجلين نتيجة الشعبية الجارفة التي حظى بها صلاح الدين في العالم الإسلامي وهو يستحقها بلا شك ما أثر في الخليفة الناصر سلباً وهو أمر بشري لا يخضع للقياس البحثي، لكن من الممكن استشعاره والإشارة إليه^(١).

٥- للإجابة عن التساؤل الخامس (يقول بعض المؤرخين أن الخليفة الناصر تشيع) انظر إلى الجدول التالي رقم (٧).

جدول رقم (٧)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة
والذين يعتقدون أن الخليفة الناصر قد تشيع

الاستجابة	التكرار	%
لا	٢٩	٧٨,٤
محايد	٥	١٣,٥
نعم	٣	٨,١
المجموع	٣٧	% ١٠٠

نتائج الجدول المبينة أعلاه توضح أن نسبة (٧٨,٤٪) من العينة المبحوثة يتفقون بأن الخليفة لم يتشيع، بينما نجد أن نسبة (١٣,٥٪) يتحفظون في استجابتهم، وفقط (٨,١٪) يتفقون بأن الخليفة قد تشيع.

وهذه النتيجة الإحصائية (٧٨,٤٪) ترفض طرح فكرة تشيع الخليفة الناصر وهو رفض له ما يبرره من وجهات نظرهم.

● فأعداؤه هم الذين أطلقوا عليه هذا في محاولة للنيل منه ومعارضتهم لحكمه.

^(١) انظر: رفعة بنت سعيد الغامدي، الفصل الأول.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

- وربما أراد الشيعة أنفسهم إثبات وجودهم على حساب خليفة المسلمين وأشاعوا عليه ذلك، وأرادوا صرف أنظار الناس عن أنشطتهم المذهبية والسياسية بعد أن خسروا مكانتهم في العالم الإسلامي بعد سقوط دولتهم الفاطمية في مصر.
 - كما أن العباسيين بجميع خلفائهم كانوا من السنة ولم يتشيع منهم أحد وهم أهل الحل والعقد، وبالتالي فالتشيع هذا تشيع من صنع الشيعة أنفسهم بعد ضعف موقفهم في بغداد بعد نجاح الناصر في احتواء الشيعة الإسماعيلية.
 - وعلى العكس من هذا، فقد سعى الناصر بكل جهده إلى التقريب بين المذاهب ومحاولة إيجاد نوع من التوازن بين المذاهب لتوحيد صف المسلمين ضد الصليبيين.
 - بالإضافة إلى أن قليلاً جداً من المؤرخين هم الذين أشاعوا ذلك من أمثال " ابن طباطبا " الشيعي، وقد يعود ذلك إلى بعض الروايات التي رويت عنه من أنه - أي الناصر - يعلم علم الباطن، وهذا من بعض معتقدات الشيعة الذين يرون أن الإمام يعلم ما يخفى.
 - بالإضافة إلى أن خوارزم شاه علاء الدين حاول جاهداً تقويض حكم الناصر وتحصّل على فتوى في الخفاء بأن خلافة بني العباس غير صحيحة واختار خليفة من أهل خراسان إلا أنهم رفضوا ذلك.
- أما المؤيدون لفكرة تشييع الناصر وهم بنسبة (٨٠٪) فيستشهدون بقول ابن واصل في مفرج الكروب من أن ابن الجوزي تحرّج من تفضيل أبي بكر عليه السلام على علي بن أبي طالب عليه السلام، كما أن الأمر يبدو متعلقاً بموضوع الفتوة ومحاولة إحيائها باعتبارها تراثاً شيعياً، ومع ذلك ذهبت هذه الآراء المعارضة إلى القول بأن تشييع الناصر في حالة حدوثه لم يكن عن اعتقاد خالص ولعله أراد أن يضم إلى تنظيم الفتوة كل القوى السياسية والدينية بمن فيهم الشيعة^(١).

(١) أنظر: رفعة بنت سعيد الغامدي، الفصل الأول.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

٦- للإجابة عن التساؤل السادس (حاول الناصر التقريب بين المذاهب فاتهموه

بالتشيع) انظر إلى الجدول التالي رقم (٨).

جدول رقم (٨)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة

والذين يعتقدون أن الخليفة الناصر قد حاول التقريب بين المذاهب فاتهموه بالتشيع^(١)

الاستجابة	التكرار	%
لا	٤	١٠,٨
محايد	١	٢,٧
نعم	٣٢	٨٦,٥
المجموع	٣٧	%١٠٠

النتائج المبينة في الجدول أعلاه تبين أن الغالبية (٨٦,٥٪) من العينة المبحوثة تؤكد على أن الخليفة قد حاول أن يقرب بين المذاهب فاتهموه بالتشيع، بينما نجد أن نسبة (١٠,٨٪) ترى أن الخليفة لم يقرب بين المذاهب من الأصل.

ونظراً لأن بعض الآراء أحالت التعليق على هذا التساؤل إلى الإجابة عن السؤال السابق فإن إجمالي الآراء الراضية لفكرة تشيع الناصر أجمعت على أن:

- الناصر تصرف تصرفاً سياسياً وليس عقدياً، وكان يهدف إلى احتواء كل القوى.
- كما أنه حاول التقريب بين المذاهب بدليل أن عدداً من رجال الشيعة كان يشغل أعلى المناصب في مؤسسة الخلافة، وهذا يؤكد اتساع أفق الخليفة وانفتاحه على كل الاتجاهات الأخرى.
- وأن الناصر هدف من وراء ذلك كله إلى ملزمة الصفوف لمواجهة الأخطار المحدقة بالأمة من ناحية، ومن ناحية أخرى خشية على المسلمين من الاختلاف ووقوع الفتنة والفرقة في أشد الظروف حرجاً.

(١) أنظر: القزاز، الحياة السياسية، ص ٢٦٤ وما بعدها.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

- أبدى أحد المشاركين رأياً مؤداه أن الهدف من إطلاق هذه الشائعة هو إفساد العلاقة المتينة التي كانت قائمة بين الخليفة الناصر وصلاح الدين الأيوبي .
وقد تعرضنا لهذا الموضوع في متن الرسالة، وتضيف أن الرواية التي أوردتها ياقوت الحموي من أنه قيل إن كامل بن الفتح كان يجلس مع الناصر فيهنّ عليه الشرائع ويعلمه علوم الأوائل هي رواية نكذبها استناداً إلى ما جاء على لسان ابن الساعي^(١) من أن " كامل بن أبي الفتح بن سابور الضير كان أديباً فاضلاً وله شعر أنشدت عنه قوله (وذكر له شعراً) وكان راوية للحديث " ولم يذكر ابن الساعي تلك الفرية التي انفرد بها ياقوت والتي لم يكن متأكداً منها حيث بدأها بقوله " قيل " وختمها بقوله " والله أعلم^(٢) " .

٧- للإجابة عن التساؤل السابع (أطاعه الشيعة الإسماعيلية فأنشأوا المساجد واعترفوا له بالخلافة) انظر إلى الجدول التالي رقم (٩).

جدول رقم (٩)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة حول إطاعة الشيعة الإسماعيلية له

الاستجابة	التكرار	%
لا	٧	١٨,٩
محايد	١٤	٣٧,٨
نعم	١٦	٤٣,٢
المجموع	٣٧	% ١٠٠

ونتائج الجدول المبينة أعلاه توضح أن نسبة (٤٣,٢٪) من أفراد العينة المبحوثة يتفقون على أن الخليفة الناصر أطاعه الشيعة الإسماعيلية فأنشأوا المساجد واعترفوا له بالخلافة، بينما نجد أن نسبة (١٨,٩٪) يرون أن الخليفة الناصر لم يطعه الشيعة الإسماعيلية ولم يعترفوا له بالخلافة، بينما نجد أن (٣٧,٨٪) يتحفظون في استجابتهم.

(١) ابن الساعي، الجامع المختصر، ج ٩، ص ٣٠.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٦، ص ٢٠٨.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

وقد برر المبحوثون قبول الشيعة بأنه يدخل في إطار الولاء السياسي وليس العقدي، وأنهم تظاهروا بذلك بسبب قوته وهيئته لكنهم كانوا يضمرون شيئاً آخر، كما أن الخوارزمية ناصبوا الخليفة الناصر العداء ونصبوا من قبلهم خليفة بدلاً عن الناصر فاتبع الشيعة سياسة عدو عدوي صديقي، ومن هنا أعلنوا ولاءهم للناصر نكاية في الخوارزمية وذلك بدليل تحالفهم مع الناصر ضدهم، ولكن في واقع الأمر هم لم يكونوا متحالفين مع الناصر بل مع المغول لأن مصلحتهم لا مع الخوارزمية ولا مع الناصر.

وقد تعرضت البحث لهذا الموضوع بالتفصيل في متن الرسالة^(١).

٨- للإجابة عن التساؤل الثامن (أنشأ مدارس للشافعية وأربطة للصوفية مما ينفي

تشيعه) انظر إلى الجدول التالي رقم (١٠).

جدول رقم (١٠)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة

حول رأيهم في أن الناصر أنشأ مدارس شافعية وأربطة للصوفية مما ينفي تشيعه

الاستجابة	التكرار	%
لا	٠	٠,٠
محايد	٥	١٣,٥٥
نعم	٣٢	٨٦,٥
المجموع	٣٧	%١٠٠

ومن الجدول الموضح أعلاه نجد أن نسبة (٨٦,٥٪) من المبحوثين يرون أن الخليفة أنشأ مدارس للشافعية وأربطة للصوفية مما ينفي تشيعه، بينما نجد أن نسبة (١٣,٥٥٪) من المبحوثين يتحفظون في رأيهم.

ليس هذا فقط .. بل إن معظم أفراد العينة الموافقين زادوا ما يلي:

(١) أنظر: رفعة بنت سعيد الغامدي، الفصل الأول.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

- كتابته لمصنف روح العارفين في الحديث الشريف أجازته لأصحاب المذاهب الأربعة دون محاباة لمذهب على آخر، وهذا خير رد على من اتهموه بالتشيع.
- كان الخليفة الناصر مهتماً بالجانب العلمي فصنّف "روح العارفين" ورشح من يرويه وأجازته.
- وهذا كله يؤكد على وقوفه على مسافة واحدة من كل التيارات، وكان يهدف إلى إيجاد نوع من التوازن بين المذاهب والتيارات السياسية والمذهبية.
- وخلو الجدول السابق من غير الموافقين يؤكد أنه لا يوجد لدى المبحوثين أدنى شك في عدم تشيعه، وحرصه الدؤوب على الحياة العلمية.
- كما أن الممتنعين عن إبداء الرأي كان عددهم جد قليل، حيث لم يتجاوز عددهم خمسة أفراد فقط ونسبة قليلة تصل إلى (١٣,٥٥٪).
- وقد تم استعراض هذا الموضوع في الفصل الثاني من البحث.
- ٩- للإجابة عن التساؤل التاسع (يقول البعض إنه السبب في قدوم المغول وأنه هو الذي سمح لهم بالدخول إلى بلاد الإسلام) انظر إلى الجدول التالي رقم (١١).

جدول رقم (١١)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة حول قول البعض
أن الخليفة الناصر هو السبب في قدوم المغول وأنه سمح لهم بالدخول

الاستجابة	التكرار	%
لا	٢٨	٧٥,٧
محايد	٠	٠,٠
نعم	٩	٢٤,٣
المجموع	٣٧	%١٠٠

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

يوضح الجدول أعلاه أن نسبة (٧٥,٧٪) من المبحوثين لا يرون أن الخليفة هو السبب في قدوم المغول وأنه سمح لهم بالدخول، بينما نجد أن نسبة (٢٤,٣٪) من المبحوثين يرون أن الخليفة هو السبب في قدوم المغول وأنه سمح لهم بالدخول. جاءت النسبة (٧٥,٧٪) وامتناع الجميع عن الحياد في الإجابة عن هذا التساؤل لتؤكد أن الناصر لدين الله لم يسع مطلقاً لارتكاب هذه الجريمة البشعة وأن خوارزم شاه بحماقته هو الذي تسبب في هذه الكارثة باستهدافه الاستيلاء على منصب الخلافة وأخذ الخطبة له في بغداد، و"النسوي" أكد رفض الناصر إعطاء علاء الدين أي امتياز فحاول الأخير توجيه التهم حتى وصل به الحد إلى تكفيره وإسقاط اسمه من السكة، ما يؤكد أن هذا الاتهام من صنع خصومه الخوارزمية خاصة بعد اتباع الناصر سياسة ضرب الخصوم وتأييده للقراخطائين ضدهم.

وتعليقاً على هذه القضية المحورية نضيف ما يلي:

هناك جدل دائر بين المؤرخين حول علاقة الخليفة الناصر بالمغول، وهل كان له دور محرّض للمغول ضد الخوارزميين أم لا ؟
وحرّئي بنا الإشارة في عجالة لأسباب الغزو المغولي لدويلات المشرق - كما أوردها المؤرخون والباحثون - سواء منها المباشرة أو غير المباشرة، وذلك على النحو التالي:

- ١- أشار عدد من المؤرخين والباحثين إلى حياة القحط التي سادت أقاليم آسيا الشرقية، حيث عاصمة جنكيز خان، وحاجة المغول إلى المواد الغذائية، والملبوسات بعد قيام علاء الدين محمد بمنع كل ذلك عنهم، فاتجهت أنظارهم إلى الدولة الخوارزمية^(١).
- ٢- كما كان المغول في حالة من النشاط والتيقظ والتوثب، وكانوا قد وضعوا لأنفسهم خطة للسيطرة على المناطق المجاورة لتأمين احتياجاتهم^(٢).
- ٣- أما ما يخص مقتل التجار المغول، فقد كان هذا هو السبب المباشر الذي أشعل الحرب، فقد أرسل جنكيز خان إلى علاء الدين محمد بعد مغامرة الأخير الفاشلة لغزو بغداد

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١٤٩.

(٢) القزاز، الحياة السياسية، ص ٢٩٨.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م)، وفداً من ثلاثة تجار مغول، وأرسل مع الوفد هدايا قيمة ويرغب في المسالمة والمودعة وعقد اتفاق تجاري بين البلدين^(١)، واختلف المؤرخون حول فحوى رسالة جنكيز خان إلى علاء الدين محمد: هل كان مضمونها الملاطفة والمسالمة أم الإزدراء والإهانة^(٢)، ولكن الذي حدث أن علاء الدين استاء منها، وعقد النية على مقاتلة جنكيز خان^(٣).

وقد سارت التجارة بين شرق آسيا وغربها في نظام تام، إلى أن جاء وفد تجاري إلى بلاط جنكيز خان فنقده ثمن ما معه من بضائع^(٤)، وأكرم وفادته، ثم كلف جنكيز خان بعد ذلك بعض الأولاد والخواناتن والأمرأ أن ينفذوا مع الوفد جماعة من أصحابه ومعهم بواليش الذهب والفضة، ليجلبوا لهم من طرائف البلاد ونفائسها ما يصلح لهم^(٥)، وبعث معهم رسولاً مغولياً من قبله حاملاً رسالة إلى خوارزم شاه^(٦).

وصل التجار إلى أترار وكان حاكمها يمت بقرابة إلى علاء الدين، يقول النسوي: " فشرهت نفسه الدنية إلى أموال أولئك، وكاتب السلطان مكاتبة خائن مائن، يقول إن هؤلاء القوم قد جاءوا إلى أترار في زي التجار وما هم بتجار، بل أصحاب أخبار (يقصد جواسيس) يكشفون منا مائس بوظائفهم^(٧)، وأغراه بقتلهم، وبالفعل انقطع خبرهم بعد قبضه عليهم^(٨).

وقد اختلف المؤرخون حول هذه القضية من عدة وجوه، فمنهم من قال إن "ينال خان" رغب في كتابه إلى السلطان أن يؤذن له في مصادرة أموالهم وقتلهم^(٩)، على حين يقول آخرون

(١) محمد بن أحمد النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبردي، تحقيق: حافظ حمدي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، ص ٨٣.

(٢) النسوي، سيرة السلطان، ص ٨٣.

(٣) النسوي، سيرة السلطان، ص ٨٤-٨٥.

(٤) ابن العبري، مختصر الدول، ص ٤٠٠.

(٥) ابن العبري، مختصر الدول، ص ٤٠٠-٤٠١.

(٦) حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، القاهرة: دار الفكر العربي، ص ٧٠.

(٧) النسوي، سيرة السلطان، ص ٨٥-٨٦.

(٨) ابن العبري، مختصر الدول، ص ٤٠١.

(٩) النسوي، سيرة السلطان، ص ٨٦.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

إنه لم يفعل أكثر من أنه رفع الأمر إليه، وسأله رأيه^(١)، ويذكر النسوي أن السلطان أمر بالاحتياط عليهم حتى يرى رأيه فيهم، وأنَّ "ينال خان" تعجل وتجاوز صلاحياته فقتلهم دون إذن من السلطان^(٢)، بينما يقول آخرون إن خوارزم شاه أمر بذلك فعلاً ثم أتبعه بأمر قتلهم ومصادرتهم^(٣).

ومهما يكن من أمر فقد نجا تاجر واحد، وصل بلاط جنكيز خان وشرح ما حدث^(٤)، فأرسل جنكيز خان رسولاً من عنده ومعه اثنان من المغول ليطلبوا من علاء الدين محمد تفسيراً لما حدث والذي يتناقض مع أسس الاتفاق التجاري المبرم بينهما، وهو سلوك يتناقض مع ما فعله مع تجار خوارزم شاه عندما جاءوا إلى بلاطه وأكرمهم، وكان أهم ما ورد في رسالة جنكيز خان إلى علاء الدين محمد: "إنك قد أعطيت خطك ويدك بالأمان للتجار، وألا تتعرض إلى أحد منهم، فغدرت ونكثت، والغدر قبيح، ومن سلطان الإسلام أقبح، فإن كنت تزعم أن الذي ارتكبه "ينال خان" كان من غير صدر منك فسلم "ينال خان" إلى لأجازيه على ما فعل، حقناً للدماء، وإلا فأذن بحرب ترخص فيها غوالي الأرواح، وتتعضد معها عوامل الرماح^(٥)".

وصلت الرسالة إلى علاء الدين محمد فاستاء من مضمونها وأمر بقتل ابن كفرج بغرا رسول جنكيز خان، وأطلق سراح الرجلين الآخرين ليرويا لجنكيز خان ما حدث^(٦)، ولما وصل الرسولان وبلغ الأمر جنكيز خان ثار غاضباً: "لا تجتمع شمسان في سماء واحدة، ولا يجوز أن يبقى خاقانان على أرض واحدة، وأرسل إلى خوارزم شاه رسالة مقتضبة تنذره بسوء

(١) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت: دار إحياء التراث، ج ٥، ص ٥١٩.

(٢) النسوي، سيرة السلطان، ص ٨٦.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٥١٩.

(٤) ابن العبري، مختصر الدول، ص ٤٠١.

(٥) النسوي، سيرة السلطان، ص ٨٧؛ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، القاهرة: (د. ن)، ج ٢، ١٣٥٣ هـ / ١٩٦٤ م، ص ٣٦٨.

(٦) النسوي، سيرة السلطان، ص ٨٨.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

العاقبة منها: " أنت الذي اخترت الحرب، ولا مرد للقدر، وإننا نجهل العاقبة، وعلمها عند الله^(١) ".

ومما سبق لا يسعنا إلا التأكيد على حماقة سياسة خوارزم شاه علاء الدين محمد تجاه المغول، حيث لم يترك للآخر مجالاً إلا الحرب والقتال، وهنا يؤكد براون على مسئولية علاء الدين عن ذلك الخطر الداهم الذي تعرض له المسلمون بقوله: " والرأي السائد أنه لم يكن هنالك ما يحول دون وقوع غارة المغول، ولكنها من غير شك سهلت حدوثها بواسطة ما عرف عن ملك خوارزم علاء الدين محمد من طمع وخيانة وتردد ... وأما خيائته فظاهرة، لأنه أقدم على قتل الرسل فأعطى لجنكيز خان الحجة الدامغة لتبرير الهجوم عليه، وأما تردده فظاهر كذلك من أنه عند أول صدمة تلقاها من المغول أسرع إلى إظهار الفرع والخوف بدل ما كان يديه من غطرسة وتحد^(٢) ".

ويلوم بعض المؤرخين علاء الدين محمد من كونه قضى على حكام جميع البلاد التي استولى عليها في توسعه شرقاً وغرباً فقوى من عزم المغول على الزحف إلى بلاده وبسط سيطرتهم عليها^(٣) .

٤- هناك رأي مشكوك في صحته - سلفاً - روج له ابن الأثير مؤداه أن غزو المغول للبلاد الخوارزمية إنما مرجعه إلى تحريض الخليفة الناصر لدين الله للمغول، حيث يقول ابن الأثير: " وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك، فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم^(٤) ". واللافت للانتباه أن هناك فريق من المؤرخين المعاصرين لفترة البحث قد سايروا ابن الأثير فيما قال، وكذا بعض المستشرقين أمثال براون الذي قال: " وأخذ يشجع المغول على

(١) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، بيروت: (د.ن)، ص ٣٤٣.

(٢) جرانفيل، تاريخ الأدب في إيران، القاهرة: (د.ن)، ص ٥٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٠١.

(٤) نفسه، ج ١٠، ص ٤٥٣.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

مهاجمته^(١)، " وقد سبق أن أشرنا إلى مدى كراهية ابن الأثير للخليفة الناصر لدين الله، فلجأ إلى وصفه بهذا الاتهام المشين للتشهير به، وفوق هذا فشهادة ابن الأثير على هذه الواقعة مجروحة نظراً لأنه نسبها إلى العجم - كما أشرنا - ويقصد الخوارزميين.

ومما هو جدير بالذكر أن العلماء والمؤرخين المعاصرين لفترة البحث لم يجرؤ أحد منهم على ترديد هذه الفرية، ومنهم من كان قريباً من الأحداث، بل ومشارك فيها كالنسوي، بالإضافة إلى سبط بن الجوزي، وابن شداد، وأبي شامة، وابن واصل، وابن طباطبا واليوني، وكلهم من العلماء المشهورين والمؤرخين، كما يشير القزاز إلى أن المؤرخين الصينيين المرافقين لحملة جنكيز خان وأرخوا لها لم يثبت أنهم أشاروا إلى هذه الواقعة من قريب أو بعيد^(٢).

وحرى - والحالة هذه - الإشارة إلى ما يلي:

أولاً: إن الحديث عن الأسباب المباشرة أو غير المباشرة كتلك التي أوردناها آنفاً ليست هي الأسباب الموضوعية الدافعة إلى قيام المغول باجتياح خوارزم شاه ومملكته، إن الأمر الأساس هو دوران عجلة التاريخ وتغير الأوضاع السياسية والتاريخية حتى والجغرافية، فعندما مالت شمس الخلافة العباسية نحو المغيب، كانت شمس الامبراطورية المغولية هناك تشرق من الجهة المقابلة.

ثانياً: نجح جنكيز خان الذي لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره في لممة القبائل البربرية الرعوية وأسقط بها بكين عاصمة الصين ذات الحضارة التليدة والتاريخ البعيد^(٣)، إن هذا قد حدث في الوقت الذي تهلhel فيه الثوب العباسي، وانتشرت على جسد الخلافة البؤر السرطانية الانفصالية بكل تحالفاتها المناوئة للخلافة.

ثالثاً: في الوقت الذي استفاقت فيه أوروبا من سباتها العميق على صوت علماء المسلمين في قرطبة وأشبيلية وسراقوسة، وغرناطة في الغرب، وبغداد في الشرق، استشعروا الحاجة

(١) جرانفيل، تاريخ الأدب في إيران، ص ٥٥٧.

(٢) القزاز، الحياة السياسية، ص ٢٣١.

(٣) نفسه، ص ٢٩٧-٢٩٨.

الماسة ليس إلى علم المسلمين فحسب، بل إلى خيراتهم وثوراتهم منبهرين بعقب الشرق الذي كان يأتيهم عبر الشاطئ الغربي للمتوسط، فتخفّوا وراء الصليب يبحثون عن ممالك ينشئونها على أنقاض الرها وطرابلس وبيت المقدس في الشرق، وقرطبة وسائر ممالك وحواضر الأندلس في الغرب، في نفس الوقت تقريباً الذي اجتاحت فيه جحافل المغول الشرق الإسلامي، وقد رصّعوا سيوفهم بالآلئ ومجوهرات بكين التي أسقطوها تحت سنانك خيولهم.

رابعاً: يصبح من الظلم الفادح على المؤرخ القديم والباحث المعاصر أن يُحمّل الخلافة أكثر مما تحتل في ظل ظروفها السائدة آنذاك، ويطلب إليها الدفاع عن أولئك الانفصاليين الذين دفعتهم حماقتهم ورعونتهم السياسية إلى التعجيل بما كان سيحدث من اجتياح المغول للشرق الإسلامي^(١)، فبعد الامتداد والتوغل المغولي تجاه الصين وإخضاعها كان من المخطط له أن يتم التوغل غرباً لتوسيع هذا النفوذ وتوطيد أركان الإمبراطورية الوليدة.

خامساً: يشير القزاز إلى أن الخلافة لم تنتبه إلى هذا الخطر الجديد الذي بدأ يكتسح البلاد ويتتهك الحرمات فلم تتخذ الإجراءات السريعة لدفعه^(٢)، ويبدو أن الأمر كان أكبر من ذلك بكثير، فجحافل المغول الثائرة الغاضبة كانت تستهدف الخوارزميين وتتعبهم في كل مكان يفرون إليه، وعندما اطمأن جنكيز خان إلى أن أحداً لن يقف أمامه عاد من حيث أتى، "ولعلمهم كانوا يقصدون من وراء ذلك تحسُّس قوة الخلافة ومدى قدرتها على المقاومة"^(٣).

ويشير ابن الأثير إلى أمر في غاية الأهمية، وهو ضعف مقاومة المسلمين واستقامة الأمر للمغول حتى أصبحوا يتنقلون من دون مانع في البلاد، ويعزو ذلك إلى سياسة خوارزم شاه التي كانت تقوم على الاستيلاء على البلاد وقتل ملوكها، فبقي وحده سلطاناً على البلاد جميعاً، فلما انهزم لم يكن هناك من يحميها، بالإضافة إلى أن عدداً من الأمراء والجنود المسلمين

(١) القزاز، الحياة السياسية، ص ٢٩٨.

(٢) نفسه، ص ٣٠٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٠٦.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

التحقوا بالمغول طمعاً بالذهب، وعداوة لخوارزم شاه الذي كان قد أوقع بهم^(١)، إلى جانب إتهامه للخليفة الناصر بالتواطؤ مع المغول .

سادساً: من الوقائع الثابتة التي تنفي تخاذل الخلافة في مواجهة المغول ما قام به الخليفة الناصر من حث ملوك الأطراف على التأهب لمواجهة المغول المتربصين ببغداد ونادى بضرورة عقد حلف إسلامي لمواجهة المغول، وقد أرسل كل من أميري إربل والموصل بجيوشهما، واعتذر الملك الأشرف موسى بن العادل أبو بكر محمد بن أيوب صاحب بلاد الجزيرة بأن جنده قد رحلوا إلى مصر لتجدة أخيه الكامل ومساعدته في حروبه مع الصليبيين الذين استولوا على مدينة دمياط، وأمد الناصر هذه الجيوش بثمانمائة فارس بقيادة أحد مماليكه، وما كاد المغول يستشعرون مقدم الجيش الخلافي حتى تفهقروا مما يؤكد عظم هيبة الخلافة العباسية في عصر الناصر في نظر المغول^(٢).

١٠- للإجابة عن التساؤل العاشر (سوء تقدير علاء الدين خوارزمشاه وابنه

جلال الدين من بعده هو السبب في هجوم المغول على الشرق الإسلامي)

انظر إلى الجدول التالي رقم (١٢).

جدول رقم (١٢)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة الذين يرون أن سوء تقدير علاء الدين خوارزم شاه وابنه جلال الدين من بعده هو السبب في هجوم المغول على الشرق الإسلامي

الاستجابة	التكرار	%
لا	٣	٨,١
محايد	٥	١٣,٥٥
نعم	٢٩	٧٨,٤
المجموع	٣٧	% ١٠٠

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٣٣٠؛ النسوي، سيرة السلطان، ص ١٠١، ١٠٦.

(٢) حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص ١٥٧-١٥٨.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

يوضح الجدول أعلاه أن نسبة (٧٨,٤٪) من المبحوثين يرون أن سوء تقدير علاء الدين خوارزم شاه وابنه جلال الدين من بعده هو السبب في هجوم المغول على الشرق الإسلامي، بينما أن نسبة (١٣,٥٥٪) يتحفظون على هذا القول، وفقط نسبة (٨,١٪) من المبحوثين يرون غير ذلك.

وأجمعت الآراء المؤيدة لهذا القول على أن خوارزم شاه ومن بعده ابنه جلال الدين لم يوجها قوة الخوارزميين تجاه الخطر الحقيقي، بل انشغلا بصراعات مع المسلمين ما أضعف جهدهما العسكري والاقتصادي، كما أن علاقتهما المضطربة مع المسلمين كانت أيضاً من أسباب ضعف موقف الخوارزميين، وهذا ما أكدته كثير من مؤرخي الفترة، إلى جانب أن علاء الدين وابنه جلال الدين أزالا كل الدول التي يمكن أن تقف حجر عثرة أمام المغول .. واقتقاد خوارزم شاه علاء الدين وابنه للكياسة وأطماعهما في توسيع ملكهما والحصول على لقب الخليفة أو السلطنة أدخلهم في صراع مع الخليفة الناصر وهذا جعلهم لقمة سائغة للمغول بسبب عدم دعم المسلمين لهم لتجرؤهم على الخلافة .. وفوق هذا فقتل تجار المغول من قبل خوارزم شاه دلّ على خيانتته وطمعه وعدم عقله للأُمور^(١).

١١- للإجابة عن التساؤل الحادي عشر (حاول الخليفة الناصر وقف اندفاع

الخلافة نحو الانهيار) انظر إلى الجدول التالي رقم (١٣).

جدول رقم (١٣)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة والذين يعتقدون أن الخليفة الناصر حاول وقف اندفاع الخلافة نحو الانهيار ونجح طوال فترة حكمه في ذلك

الاستجابة	التكرار	%
لا	٣	٨,١
محايد	٠	٠,٠
نعم	٣٤	٩١,٩
المجموع	٣٧	% ١٠٠

(١) أنظر: رفعة بنت سعيد الغامدي، الفصل الأول.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

يوضح الجدول أعلاه أن نسبة (٩١,٩٪) من المبحوثين يرون أن الخليفة الناصر حاول وقف اندفاع الخلافة نحو الانهيار ونجح طوال فترة حكمه في ذلك، بينما نجد أن نسبة (٨,١٪) لا يتفقون معهم على ذلك.

وبنسبة وصلت إلى (٩٢٪) تقريباً أجمعت الآراء على أن الخليفة الناصر حاول وقف اندفاع الخلافة نحو الانهيار ونجح في ذلك طوال فترة حكمه:

- فقد قام بجهود كبيرة لضرب السلاجقة وطردهم من عاصمة الخلافة.
- استهدفت سياسته الداخلية والخارجية تثبيت مكانة الخلافة وحقق نجاحاً طيباً.
- نجح في الحد من الصراع الذي استمر قائماً فترة طويلة بين العسكريين والإداريين الذين كانوا السبب في أكثر المشاكل التي واجهت دولة الخلافة.
- كما نجح في إصلاحاته الداخلية وفي سياسته الخارجية واهتمامه بأسلوب السفارة والدبلوماسية مستخدماً العلماء كسفراء فوق العادة وممثلين شخصيين عن الخليفة، ومنح صلاح الدين كل التأييد والدعم المعنوي، كما كان تفعيله لنظام الفتوة أحد أهم أسباب توحيد الأمة.
- نجح في سياسة تقوم على ضرب الأعداء بعضهم ببعض كسياسته مع الأتابكة والسلاجقة ومواجهة الخوارزمية، ويقول بعض المؤرخين عنه أنه كان له حيل لطيفة ومكائد غامضة وخدع لا يفتن لها أحد (راجع الذهبي، وابن طباطبا) وقال آخر إن الناصر كان شهماً شجاعاً ذا فكرة صائبة وعقل رصين ومكر ودهاء، وله أصحاب أخبار في العراق وسائر الأطراف (الذهبي وابن النجار).
- أما المعارضون فاتفقت آراؤهم في أن نظام الحكم الخلافي كان هرمياً وكثرت عثراته وشاخت هياكله، والهرم إذا نزل بالدول لا يرتفع كما يذكر ابن خلدون في المقدمة.

وبعضهم انتقد الناصر بعنف وقال: إن جهود الخلافة في عصره لا ينكرها أحد ولكنه لم يفلح في إقامة مؤسسة قوية قابلة للاستمرار بعده، لأن وسائله كانت في بعض الأحيان

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

ميكيافيلية ونابعة عن الضعف المتراكم في هذه المؤسسة قبله، لذلك لم يستطع توريث خلفائه خلافة قوية موطدة الأركان ولهذا سقطت سريعاً^(١).

١٢- للإجابة عن التساؤل الثاني عشر (كان الخليفة الناصر شخصية متناقضة انشغل عن الحكم بنظام الفتوة) انظر إلى الجدول التالي رقم (١٤).

جدول رقم (١٤)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة حول الاعتقاد
بتناقض شخصية الناصر الذي انشغل بنظام الفتوة

الاستجابة	التكرار	%
لا	٢٠	٥٤,١
محايد	٠	٠,٠
نعم	١٧	٤٥,٩
المجموع	٣٧	%١٠٠

يوضح الجدول أعلاه أن نسبة (٥٤,١٪) من المبحوثين يرون أن الخليفة الناصر لم يكن شخصية متناقضة وانشغل عن الحكم بنظام الفتوة، بينما يرى نسبة (٤٥,٩) من المبحوثين أن الخليفة كان كذلك بالفعل.

والرافضون لفكرة تناقض شخصيته عللوا ذلك بقولهم أنه سعى لتكون سيرته حسنة في الآفاق، ولذا اشتغل بعلم الحديث ورواه وصنّف فيه وأجاز له وطلب من العلماء نشره في آفاق العالم الإسلامي، وأن مسألة تناقضه التي روج لها ابن الأثير ليست إلا انطباعات مؤرخ ولا يجب التأسيس عليها، لأن موضوع الفتوة هذا كان تجديداً وإحياءاً للدولة وليس العكس بدليل أنه نجح في كسب الأيوبيين وكثير من ممالك المسلمين إلى صف الخلافة، كما أن الفتوة أحدثت تطورات إيجابية في المجتمع البغدادي وحدّت إلى درجة كبيرة من الفتن

(١) أنظر: رفعة بنت سعيد الغامدي، الفصل الأول والفصل الثالث.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

والاضطرابات التي كان يقوم بها العيارون والشطار، الذين عاثوا فساداً في بغداد في فترات حكم الخلفاء السابقين على الخليفة الناصر واللاحقين له، وجميع مصادر فترة حكم الناصر تؤكد الدور السلبي للعيارين والشطار في المجتمع البغدادي، وبدءاً الناصر نجح في ضمهم إلى هذا التنظيم فأصبحوا قوة إيجابية داخل المجتمع، كما أن دولة الخلافة كانت ضعيفة وحدود رقعتها الجغرافية محدودة وإمكاناتها الاقتصادية ضعيفة مقارنة بأية دولة تابعة لها، فأراد منح الخلافة صلاحية خارج حدودها بإنشاء نظام الفتوة وهذا ذكاء سياسي . بالإضافة إلى أن ظروف المرحلة استدعت الدفاع عن بغداد وهذا استدعى إيجاد نظام الفتوة مما يعزز إيجابية تفكير الناصر السياسي^(١).

١٣- للإجابة عن التساؤل الثالث عشر (قَرَّبَ إليه العلماء والأدباء والشعراء)

انظر إلى الجدول التالي رقم (١٥).

جدول رقم (١٥)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة

والذين يعتقدون أن الخليفة قَرَّبَ إليه العلماء والأدباء والشعراء

الاستجابة	التكرار	%
لا	٠	٠,٠
محايد	٧	١٨,٩
نعم	٣٠	٨١,١
المجموع	٣٧	% ١٠٠

يوضح الجدول أعلاه أن نسبة (٨١,١٪) من المبحوثين يرون أن الخليفة قَرَّبَ إليه العلماء والأدباء والشعراء، بينما نجد أن نسبة (١٨,٩٪) من المبحوثين يتحفظون في رأيهم من أن الخليفة قَرَّبَ إليه العلماء والأدباء والشعراء.

(١) أنظر: رفعة بنت سعيد الغامدي، الفصل الأول.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

وأغلبية المبحوثين (٨١,١٪) قالوا بأنه منح الإجازات لرواية روح العارفين وقرب إليه العلماء بشكل لافت، فقد كان الناصر رجلاً مثقفاً يتحاور مع العلماء في المجالس، ويستمع إليهم في محاضراتهم ودروسهم، أما ما يخص الشعر والشعراء فبدهي ارتباط الحاكم العربي بالشعراء وإلا فما سبب شيوع وذويوع غرض المدح في الشعر العربي، وكان للشعراء ديوان خاص يسمى (شعراء الديوان) وكان لهم حلقات خاصة في جامع القصر وجامع المنصور، وأما الأدباء فعلى مر عصور الخلافتين الأموية والعباسية كان لهم دورهم في ديوان الإنشاء. والملاحظ أن أحداً من أفراد العينة لم يعترض على ارتباط الخليفة بالشعراء والأدباء والعلماء، وتحفظ (١٨,٩٪) عن الإجابة ربما لعدم الإلمام بهذا الجانب الأدبي من مختص بالتاريخ.

١٤- للإجابة عن التساؤل الرابع عشر (كان للناصر مجلس علم وتدریس) انظر

إلى الجدول التالي رقم (١٦).

جدول رقم (١٦)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة

والذين يعتقدون أن الخليفة كان له مجلس علم وتدریس

الاستجابة	التكرار	%
لا	٤	١٠,٨
محايد	٣	٨,١
نعم	٣٠	٨١,١
المجموع	٣٧	%١٠٠

يوضح الجدول أعلاه أن غالبية المبحوثين (٨١,١٪) يرون أن الخليفة كان له مجلس علم وتدریس، بينما نجد أن نسبة (١٠,٨٪) من المبحوثين يرون أن الخليفة لم يكن له مجلس علم وتدریس، وامتنع عن الإجابة ثلاثة مبحوثين شكّلوا نسبة مئوية بلغت (٨,١٪).

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

وأجاب الموافقون بأن الناصر كان له بالفعل ليس مجلساً واحداً للعلم بل عدة مجالس تنوعت، منها المجالس الخاصة بكبار رجال الدولة للتباحث في أمور الخلافة، ثم تنقلب هذه المجالس إلى مجالس أدبية ودينية، وكان حريصاً على حضور العديد من مجالس العلم والمشاركة فيها برأيه .. وثبت أنه كان يجالس العديد من العلماء من أصحاب المذاهب المختلفة والدليل على ذلك أنه أجاز لأصحاب المذاهب الأربعة رواية روح العارفين .. أما مجالس التدريس فنستطيع إدراجها تحت نشاطه في منح الإجازات لبعض العلماء لرواية مصنفه وهذا بالتأكيد مجلس علم^(١).

١٥- للإجابة عن التساؤل الخامس عشر (ألف الخليفة الناصر مصنفاً في الحديث

بعنوان " روح العارفين " انظر إلى الجدول التالي رقم (١٧).

جدول رقم (١٧)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة

والذين يعتقدون أن الخليفة الناصر ألف مصنفاً في الحديث بعنوان روح العارفين

الاستجابة	التكرار	%
لا	٣	٨,١
محايد	١٤	٣٧,٨
نعم	٢٠	٥٤,١
المجموع	٣٧	% ١٠٠

يوضح الجدول أعلاه أن نسبة (٥٤,١٪) من المبحوثين يرون أن الخليفة الناصر ألف مصنفاً في الحديث بعنوان " روح العارفين "، بينما نجد أن نسبة (٣٧,٨٥) من المبحوثين تتحفظ في رأيها، كما نجد فقط (٨,١٪) يرون أن الخليفة الناصر لم يؤلف مصنفاً في الحديث بعنوان "روح العارفين".

(١) أنظر: رفعة بنت سعيد الغامدي، الفصل الثالث.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

والحقيقة أن تأليف الخليفة الناصر لكتاب " روح العارفين " حقيقة علمية وتاريخية أكدتها كل مصادر البحث وكان العارفون بهذا الأمر من المبحوثين قد بلغوا - كما أشارت الإحصائية - (١, ٥٤٪) ؛ أما باقي العينة فمن الواضح أنهم لا يعلمون هذه الحقيقة ^(١).

١٦- للإجابة عن التساؤل السادس عشر (تردد في بعض المصادر اهتمام الخليفة

الناصر بالفلسفة) انظر إلى الجدول التالي رقم (١٨).

جدول رقم (١٨)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة

حول اهتمام الخليفة الناصر بالفلسفة

الاستجابة	التكرار	%
لا	٥	١٣,٥٥
محايد	١٦	٤٣,٢
نعم	١٦	٤٣,٢
المجموع	٣٧	١٠٠%

يوضح الجدول أعلاه أن نسبة (٤٣,٢٪) من المبحوثين يرون أن الخليفة الناصر كان له اهتمام بالفلسفة، بينما نجد أن نسبة (١٣,٥٥٪) من المبحوثين يرون أنه لم يهتم بها. ركزت نسبة (٤٣,٢٪) المؤيدة لاهتمام الخليفة الناصر بالفلسفة على أن اتساع أفقه الثقافي جعله يهتم بالفلسفة من باب العلم والفهم والثقافة ولكن ليس عن توجّه نحو الاشتغال بالفلسفة أو تبني أفكارها .. هذا بالإضافة إلى أن الناصر كان منفتحاً على المفكرين والعلماء من أصحاب المذاهب والنحل وكان هذا يستدعي بالطبع الإعداد الذهني والفكري لمقارعة الأفكار بالأفكار .. والفلسفة وعلم الكلام من العلوم التي كان لها مفكروها وعلمائها الذين صنفوا فيها ..

^(١) أنظر : رفعة بنت سعيد الغامدي، الفصل الثالث.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

وقد ذهب ياقوت الحموي والكتبي إلى أن كامل بن الفتح بن ثابت كان يخلو بالناصر "وعلمه علم الأوائل وهون عليه الشرائع"^(١).

ورد عليهما ابن الساعي بأن كامل بن الفتح أحد أئمة المسلمين، وكان شاعراً فاضلاً، وأورد له شعراً، وكان راوية للحديث، وأورد أحاديث بإسناده، ولم يذكر شيئاً عن فلسفة هذا الرجل ولا عن جلوسه مع الخليفة الناصر^(٢).

١٧- للإجابة عن التساؤل السابع عشر (هل الدار المسماة بالمسناه التي بناها الخليفة الناصر هي نفسها القصر العباسي في القلعة؟) انظر إلى الجدول التالي رقم (١٩).

جدول رقم (١٩)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة والذين يعتقدون أن الدار المسماة بـ (المسناة) التي بناها الخليفة الناصر هي نفسها القصر العباسي في القلعة

الاستجابة	التكرار	%
لا	٢	٥,٤
محايد	١٩	٥١,٤
نعم	١٦	٤٣,٢
المجموع	٣٧	١٠٠%

أوضحت النتائج المبينة في الجدول رقم (١٩) توضح أن الغالبية العظمى من عينة البحث (٥١,٤٪) يتحفظون في رأيهم عن أن الدار المسماة بـ (المسناة) التي بناها الخليفة الناصر هي نفسها القصر العباسي في القلعة، بينما يتفق إيجاباً في الرأي نسبة (٤٣,٢٪) بأن المدارس التي بناها الخليفة الناصر هي نفسها القصر العباسي.

وهذه القضية لفتت انتباه المبحوثين لأنها موعلة إلى حد كبير في دقائق فترة البحث، ولذلك حايد في الإجابة (٥١,٤٪) من العينة المبحوثة، بينما وافق (٤٣,٢٪) على كونها القصر

^(١) ياقوت، معجم الأدباء، ج ٥، ص ١٢؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج ٣، ص ٢١٧.

^(٢) ابن الساعي، الجامع المختصر، ج ٩، ص ٣٠؛ انظر: رفعة بنت سعيد الغامدي، الحياة العلمية، الفصل الثالث.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

العباسي، وأما الرافضون لكونها القصر العباسي فبلغت نسبتهم (٥,٤٪) والقضية خلافية بين المحققين والمهتمين بالتراث العباسي من العراقيين أنفسهم.

وعلى ضوء كل ما سبق فإن دار المسناة - على أصح الأقوال والتفاصيل وهي كثيرة - هي القصر العباسي القائم اليوم في جنوبي وزارة الدفاع، لأن معظم الأقوال والشواهد التاريخية تؤكد هذا، كما لم يرد نص تاريخي صريح يؤكد هدم هذه الدار، وقيام بناء على أنقاضها، كما تؤكد أن المدرسة الشرفية الشراعية كانت خارجة عن حيز نهر دجلة الشرقي، وقد تكون في موضع آخر من المواضع التي عينها جواد^(١)، وبالتالي فدار المسناة هي دار علم اتخذها الناصر لمفاوضة العلماء والالتقاء بهم ومشاركتهم^(٢).

١٨- للإجابة عن التساؤل الثامن عشر (للخليفة الناصر الفضل في إخراج

الخلافة من دائرة النفوذ الأجنبي) انظر إلى الجدول التالي رقم (٢٠).

جدول رقم (٢٠)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة والذين يعتقدون أن للخليفة الناصر

الفضل في إخراج الخلافة من النفوذ الأجنبي

الاستجابة	التكرار	%
لا	٠	٠,٠
محايد	٣	٨,١
نعم	٣٤	٩١,٩
المجموع	٣٧	%١٠٠

يوضح الجدول أعلاه أن نسبة (٩١,٩٪) من المبحوثين يرون أن للخليفة الفضل في إخراج الخلافة من النفوذ الأجنبي، بينما نجد أن نسبة (٨,١٪) من المبحوثين يتحفظون في رأيهم عن ذلك.

(١) مصطفى جواد، دار المسناة، مجلة كلية الآداب، ص ٢٢-٣٠.

(٢) أنظر: رفعة بنت سعيد الغامدي، الحياة العلمية، الفصل الثاني.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

والنسبة من عينة البحث أكدت بالفعل دور الخليفة الناصر في تخليص دولة الخلافة وعاصمة الخلافة من النفوذ الأجنبي، ولم ينكر أحد من العينة هذا الدور، وجاءت النسبة صفر %، وأكدت العينة على ما يلي:

- نعم كان له دور في إخراج السلاجقة من عاصمة الخلافة والحد من مخاطر الخوارزمية المتربصين بها.
- هدمه لدار السلطنة ورفضه لتهديدات السلاجقة.
- أكمل ما قام به الخليفة المقتفي لنور الله وقضى على نفوذ السلاجقة في عاصمة الخلافة.
- جهوده واضحة في هذا المجال وليس فقط السلاجقة، بل وقضى على أطماع القراخانيين والأتابكة والغوريين، وهذا أعطى دعماً قوياً للخلافة في عهده بالإضافة إلى خروج مصر من النفوذ الشيعي الفاطمي ليعود العالم الإسلامي موحداً تحت حكم العباسيين وإن كان صورياً في بعض المناطق إلا أنه وبذكاء أضفى الشرعية على الأيوبيين ما ساعد على مقاومة الغزو الصليبي^(١).

١٩- للإجابة عن التساؤل التاسع عشر (عمر الخليفة الناصر المساجد وبنى الأربطة) انظر إلى الجدول التالي رقم (٢١).

جدول رقم (٢١)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة والذين يعتقدون أن الخليفة الناصر قد عمر المساجد وبنى الأربطة وأوقف الكتب

الاستجابة	التكرار	%
لا	٠	٠,٠
محايد	٣	٨,١
نعم	٣٤	٩١,٩
المجموع	٣٧	% ١٠٠

(١) أنظر: رفعة بنت سعيد الغامدي، الحياة العلمية، الفصل الأول.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

الجدول رقم (٢١) والمبين أعلاه يوضح أن نسبة (٩١,٩٪) من المبحوثين يرون أن الناصر عمّر المساجد وبنى الأربطة وأوقف الكتب، بينما نجد أن نسبة (٨,١٪) من المبحوثين يتحفظون في رأيهم عن ذلك، وكان الرافضون بنسبة صفر ٪، وكان إجمالي آراء المبحوثين الموافقين على التساؤل يتمحور في الآتي:

- نعم فعل ذلك ولم يقتصر الأمر عليه فقط، بل شمل جميع أفراد أسرته.
- نعم بنى أربطة عديدة أهمها رباط دار الفلك ورباط الأخلاطية ورباط البلخي ورباط مقدم الفتيان ورباط الحريم الطاهري ورباط زمرد خاتون .. وغيره. وتم تفصيل ذلك في الفصل الثاني من البحث.

٢٠- للإجابة عن التساؤل العشرين (كان للمرأة دور في الحياة العلمية في عصر

الخليفة الناصر) انظر إلى الجدول التالي رقم (٢٢).

جدول رقم (٢٢)

يوضح النسب والتكرارات للعينة المبحوثة والذين يعتقدون
أنه كان للمرأة دور في الحياة العلمية في عهد الخليفة الناصر

الاستجابة	التكرار	%
لا	٨	٢١,٨
محايد	١١	٢٩,٧
نعم	١٨	٤٨,٦
المجموع	٣٧	%١٠٠

نتائج الجدول رقم (٢٢) أعلاه تبين أن نسبة (٤٨,٦٪) من المبحوثين يتفقون على أن المرأة كان لها دور في الحياة العلمية في عصر الخليفة الناصر، بينما عارض ذلك (٢١,٨٪)، وامتنع عن التعليق (٢٩,٧٪).

وكانت خلاصة آراء الموافقين تدور حول غياب ذكر النساء غير المشهورات واللائي شاركن بالفعل في الحياة العلمية، وهو جانب سلبي يؤخذ على الحضارة العربية الإسلامية

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

وقتذاك، بدليل إغفال كثير من مصادر الفترة لذكر المرأة ودورها وعطاءها العلمي وكان موجوداً بالفعل، واتفقت بعض الآراء على أن المرأة كان لها عطاؤها العلمي الذي ضاع في جملة ما ضاع من كنوز، إضافة على الوضع الاجتماعي للمرأة حال دون وضع اسمها على أغلفة المصنفات، بدليل نشاطها الواضح في علم الحديث، فعلى الرغم من شهرة الكاتبة شهدة لم يذكر المؤرخون مصنفاً واحداً لها^(١).

٢١- للإجابة عن التساؤل الحادي والعشرين (هل لديكم إضافة تتكرمون

بإضافتها)

لم يبد أحد من المبحوثين ملاحظات باستثناء أربعة أبدوا ملحوظات أوردتها للأمانة كما هي بنصها دون التعليق عليها.

المحاضرة الأولى :

إن البطل في التاريخ تخلده أعماله وترفع من اسمه وشأنه من خلال ما يتركه من بصمات ترجمها أعماله على صفحات التاريخ مثل صلاح الدين الأيوبي الذي جاهد وقاتل، وكان من ثمرات جهاده تحرير القدس الشريف سنة (٥٨٣هـ)، أما الناصر وإن لم يصل إلى مكانة صلاح الدين إلا أنه رجل أعطى بقدر ما أتاحت له الظروف المحيطة بدولته سواء أكانت خارجية أم داخلية.

المحاضرة الثانية:

إن الخليفة الناصر يعتبر أقوى وأدهى خليفة عباسي ولا يقارن إلا بالخليفة أبي جعفر المنصور.

المحاضرة الثالثة:

الخليفة العباسي الناصر لدين الله من الخلفاء الذين اجتهدوا في سبيل إعادة بناء الدولة العباسية من خلال إجراء العديد من التعديلات على نظام هرم وشاخ.

(١) أنظر: رفعة بنت سعيد الغامدي، الحياة العلمية، الفصل الثالث.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

الملاحظة الرابعة:

أرى أن تقوم الباحثة بتنفيذ اتهام الناصر بالتشيع لخطورة ذلك على سمعة الخلافة العباسية وخشية أن يستقر هذا الاتهام في كتابات الباحثين، ولابد من الرد وبعلمية والتأكيد على ذلك بالأدلة والبراهين. (انظر متن الرسالة، والاستبانة) فقد قامت الباحثة بهذه المهمة قدر طاقتها.

٢٢- بالنظر إلى الجدول رقم (٢٣)

جدول رقم (٢٣)

اختبار (ت) لمعرفة الفروق ذات الدلالة الإحصائية لوجهة نظر العينة المبحوثة

حول فقرات البحث تبعاً للدرجة العلمية

الدرجة العلمية	التكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ف)	قيمة (ت)	الدلالة
أستاذ مساعد	٢٣	٢,٤٣	٠,١٨	١,٣٥١	٢,٠٣٢	*٠,٠٤٧
أستاذ	١٤	٢,٣١	٠,١٥			

دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) *

أظهرت نتائج اختبار (ت) لعينتين مستقلتين في الجدول أعلاه أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين أستاذ مساعد وأستاذ تبعاً لاستجاباتهم لفقرات الأداة كما هو واضح من الجدول رقم (٢٤)، حيث بلغت قيمة (ت) (٢,٠٦٢) بمستوى دلالة (٠,٠٥) وكانت الفروقات لصالح أستاذ مساعد أي أن متوسطات استجابات أستاذ مساعد أكبر من متوسطات أستاذ.

ونتائج الاختبار تؤكد ما حدث في الواقع بالفعل، فلقد عانت كثيراً في مخاطبتي لأعلام التخصص، والذين رفض الكثير منهم تعبئة بيانات الاستبانة، ربما بسبب اتخاذ موقف سلبي من الأداة أصلاً، أو ربما حالت ظروفهم العملية دون الحصول على آرائهم سواء أكانوا في

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

جامعات المملكة العربية السعودية أو جامعات عربية أخرى، وكانت استجابة الأساتذة المساعدين أكثر حماساً واستعداداً .

وما يهم في هذا المجال الإشادة بأساتذة التخصص في جامعات بغداد والموصل الموجود منهم بالعراق أو خارجها، فقد قدموا لي كل عون ممكن، ولم تحل الظروف التي يعاني منها العراق حالياً دون التواصل معهم.

٢٣- بالنظر إلى الجدول رقم (٢٤)

جدول رقم (٢٤)

تحليل التباين الأحادي one way ANOVA لمعرفة الفروق ذات الدلالة الإحصائية

لوجهة نظر العينة المبحوثة حول فقرات البحث تبعاً للتخصص الدقيق

التخصص	التكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ف)	الدلالة
تاريخ إسلامي عباسي	٢٩	٢,٣٩	٠,١٩	٠,٨١٨	٠,٤٩٣
موارد تاريخية	١	٢,٤٥	٠,٠		
حضارة إسلامية	٣	٢,٢٣	٠,١٢		
عصور وسطى	٤	٢,٤	٠,١٢		

دلت نتائج تحليل التباين الأحادي المعروضة في الجدول (٢٤) على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين استجابات عينة البحث تبعاً للتخصص الدقيق للعينة المبحوثة لجميع فقرات البحث الخمسة، أي أنهم اتفقوا على ما تضمنته هذه المحاور بمختلف تخصصاتهم.

وهذه النتيجة أيضاً جاءت في صالح الاستبانة والتي أكدت على الحماس الزائد من السادة المشاركين لتعزيد جهود باحثة مجتهدة، بعضهم اختلف معها على استخدام أسلوب الاستبانة في البحث التاريخي ولكنهم شاركوا، والبعض الآخر كان في غاية الحماس للفكرة وأيدها وشجّع على المواصلة.

النتائج المتوصل إليها من تطبيق الأداة:

وعلى ضوء النتائج المستخلصة من المعالجة الإحصائية تخلص الدراسة إلى إجمال هذه النتائج حسب ورودها في الاستبانة وبنفس الترتيب، وألفت النظر إلى أن جميع النتائج المتوصل إليها توافقت تماماً مع ما توصلت إليه من نتائج واستنتاجات أيدتها الوثائق من مصادر ومراجع وغيره، حتى القضايا التي لم يرد لها ذكر مباشر في مصادر البحث تصدّيت لها بالاجتهاد، أو بإعادة استقراء النصوص أحياناً؛ وبقراءة ما بين السطور أحياناً أخرى وقد توافقت - بحمد الله - مع طروحات الأساتذة المشاركين في الاستبانة.

١- رغم استشرء الفساد الإداري، والفتن والاضطرابات في بغداد في عصر الخليفة المستضيء بنور الله (والد الخليفة الناصر)، ورغم عدم إيجابية دار الخلافة في التعامل مع الزحف الصليبي، أو الحد من تطاحن دويلات المشرق في حروب لا طائل منها إلا إنهاك القوة الإسلامية، فإن فترة حكم المستضيء لم تكن فترة نهوض ولكنها كانت فترة حفاظ على المكتسبات التي حققها سلفه المقتفي (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٦-١١٦٠م)، فقد كان عهد المقتفي محاولة من محاولات الصحو العباسية، وكانت صحو قوية وصلت لدرجة المواجهة العسكرية مع السلاجقة، وكانت أكبر ممدوح ومحفز للحركة التي قام بها الخليفة الناصر بعد عشرين سنة من نهاية حكم المقتفي، ويبدو أن الخليفة الناصر اتخذ من صحو جده نموذجاً أتبعه.

٢- نجح الخليفة الناصر - وعلى ضوء النتيجة السابقة - في إعادة الهيبة إلى الخلافة العباسية فأكمل ما بدأه الخليفة المقتفي لنور الله، فاستخدم نفس أسلوبه في تأليب الصغار على الكبار والعكس، واستعان بالعلماء في وظائف الدولة فتخلص بذلك من الفساد الإداري، واستطاع وباقتدار تشكيل تنظيم الفتوة الذي استوعب مجموعة من الفرق المناوئة والتي هدّدت السلام الداخلي، وامتد أثر هذا التنظيم ذي الأبعاد القومية في جمع كلمة العرب والمسلمين فانضوى تحت لوائه العديد من الأمراء والملوك وعديد من حكام الأيوبيين مما انعكس إيجاباً على الجهاد ضد الصليبيين، أما الإنجاز الأكبر فكان التخلص نهائياً من سيطرة السلاجقة على دار الخلافة.

٣- كان الخليفة الناصر سبّاقاً في استخدام تنظيم الفتوة المشار إليه آنفاً وكان من أهم عوامل توحيد الأمة، فإن كانت سلطة الخلافة لا تبسط يدها فعلياً على عديد من المناطق والبلاد والدول إلا أنه بهذا التنظيم جعل هؤلاء الحكام يعملون تحت راية الخلافة وبمباركة منها، وأطلق العنان لصلاح الدين الأيوبي ليؤمن جبهة قتاله من خلال تأمين الخطوط الخلفية، من خلال غزواته للموصل وغيرها لتأمين ظهر المجاهدين، ولا ننسى محاولاته الجادة للتوفيق بين المذاهب الأربعة ونشر كتابه روح العارفين، واستيعاب الشيعة الإسماعيلية.

٤- قضية تشيع الخليفة الناصر أثبتت البحث كذبها وبالأدلة والبراهين، فالخليفة الناصر لم يتشيع وإنما كان يحاول التقريب بين المذاهب واستيعاب أصحاب الفرق والمذاهب المختلفة، وهناك أطراف عديدة هي المستفيدة من إطلاق هذه الشائعة منها الخوارجية الذين أرادوا تشويه صورته في نفوس أهل السنة وتاليهم عليه، والشيعة الإسماعيلية وبالذات المتواجدون في الشام بهدف ضرب التحالف غير المعلن بين صلاح الدين والخليفة الناصر.

٥- أما الإجابة عن دهاء الخليفة الناصر وحنكته وثقافته الواسعة فتظهر في مقدرته على إخضاع الشيعة الإسماعيلية والحد من عدائها للخلافة، أما شائعة تشيع الخليفة الناصر فهو أمر بدهي إذ كيف كان للناصر أن يخضع الإسماعيلية دون أن يجلس مع بعض علماء الشيعة ويسمع منهم ويحاورهم وأن يعين منهم في وظائف الدولة، وأن ينفق على مشاهدتهم وقبورهم، وأن يرسل أم الحسن الصباح زعيمهم للحج تحت رعايته؟! ويجب أن نؤكد بالطبع أن إطاعة الشيعة للناصر كانت طاعة سياسية وليست عقدية ومن يجروا أن يقول غير ذلك؟.

٦- كان الخليفة الناصر من الذكاء بحيث أنه سعى إلى احتواء كل الفرق الإسلامية ومنها الشيعة والمتصوفة .. وكان من الذكاء بحيث أنه استطاع أن يحوّل المتصوفة المنقطعين للعبادة والزهد في ربطهم إلى أساتذة ومعلمين ودعاة ووعاظ، وأن تتحول الربط الصوفية إلى مؤسسات تعليمية شبه نظامية خرّجت جيشاً من العلماء والفقهاء وجميع

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

مصادر فترة البحث أكدت هذا .. ولم يهتم فقط الخليفة الناصر بالمدارس الشافعية بل اهتم بالمدارس المعبرة عن كل التوجهات والمذاهب، وليس هذا بغريب على خليفة يسعى على إعادة مجد الخلافة وفق استراتيجية محددة ومدروسة والشواهد التاريخية كلها أكدت هذا .

٧- أما قضية كون الخليفة الناصر هو السبب أو هو المحرض للمغول على دخولهم بلاد الإسلام فقد تناولناها منذ قليل بالأدلة والبراهين، وليست في حاجة إلى إعادة تكرار .. ويبقى الاستفهام التعجبي والإنكاري معاً : كيف لخليفة عباسي أن يفعل هذا ؟!

٨- كانت حماقة خوارزم شاه وابنه جلال الدين هي السبب المباشر لهجوم المغول، هم كانوا قادمين .. قادمين .. ولكن الحماسة عجلت بالمجيء .. ولو أن كياستهم وحسن تعاملهم مع الآخرين كانا متوفرين لنجح المسلمون في صد هذا الهجوم المباغت .

٩- نجح الناصر لدين الله في وقف اندفاع قاطرة الخلافة المتجهة نحو الهاوية، والنتائج المستخلصة حتى الآن تؤكد هذا ..

١٠- ابن الأثير مؤرخ محترم ومصنفاته تخطى بالتقدير والإعجاب .. رغم ما فيها من هنات يصعب تفويتها، ودراستي عنه ستكشف بعضاً من هذا، ولذلك يجب أن تؤخذ آراؤه الخاصة بالخليفة الناصر بحذر شديد، ولولا إقامة ابن الأثير عند ابن لؤلؤ حاكم الموصل والمتناقض مع الخليفة الناصر في المصالح والمنطلقات لاختلف الأمر .

١١- الخليفة الناصر نعم اهتم بالفلسفة وأراد أن يفهم عنها ما لم يعرف ولكن ليس معنى هذا أنه كان ينوي الاشتغال بها .. وخليفة يسعى للتقريب بين المذاهب وتطيعه الإسماعيلية ويؤلف مصنفاً لتوحيد المسلمين ويمنح الإجازات ليس من الممكن أن يتشيع وأن يتفلسف .

١٢- كان للمرأة دورها الفاعل في الحياة العلمية في عصر الخليفة الناصر، ولكن مصادر تاريخ تلك الفترة لم تذكر لنا تفاصيل وافية عن نشاط المرأة العلمي، وهو بلا شك نشاط مكثف وإيجابي ومنتج ولكن الإشكالية في عدم تأريخ دور المرأة بالشكل المطلوب وهو ما حاولته الباحثة قدر الممكن .

الاستنتاجات :

ولعل من أهم الاستنتاجات التي خلصت لها البحث ما يلي:

- ١- يبقى العلم هو مفتاح النهضة والتقدم، وفيه يكمن الحل لجميع مشكلات واقع الأفراد والدول، ويبقى التعليم بمؤسساته وعلمائه ومعلميه هو خط الدفاع الأول ضد كل محاولات الهيمنة الأجنبية، سواء أكانت هيمنة عسكرية أو اقتصادية أو فكرية، أو علمية.
- ٢- ما لم يحظ العلماء برفعة المكانة والمنزلة في المجتمع - أي مجتمع - فلا أمل في تحقيق التقدم والنهضة.
- ٣- وقع كثير من مؤرخي فترة البحث في إشكالية السرقة العلمية، أو النقل عن السابقين عليهم دون إشارة وتمحيص.

التوصيات :

وتوصي الدراسة .. في الختام بالآتي ذكره :

- ١- ما زال البحث في الفترة التي ركز عليها البحث يحتاج إلى جهود مكثفة لأنها فترة ثرية ومليئة بالأحداث الجسام، ولم تلق الاهتمام الكافي للآن خاصة أن معظم الدراسات التي تناولتها كانت معنية بها كفترة زمنية في العصر العباسي المتأخر الذي عاجلته هذه الدراسات إجمالاً، ولذا فالواجب دراسة عصر الناصر اجتماعياً وسياسياً واستراتيجياً وبالتفصيل.
- ٢- التركيز على دراسة الربط الصوفية في عصر الخليفة الناصر باعتبارها قد نحت منحى إيجابياً في تعاملها مع مشكلات الواقع بتركيزها على الجانب الديني من الدين وهو ما يغيّر ما سبق وما لحق من أنشطة الربط الصوفية.
- ٣- القص والوعظ من الموضوعات التي لفتت الانتباه، حيث كان القصاص والوعاظ يتنافسون على استقطاب عقول الناس وعواطفهم .
- ٤- دراسة الهجرة المزدوجة من وإلى بغداد إبان الحروب الصليبية من جهة، وأثناء الحروب التي استعرت بين دويلات المشرق في فترة البحث، من جهة ثانية، وأثناء وبعد الاجتياح المغولي للشرق الإسلامي من جهة ثالثة.

منهج البحث الحديث في التاريخ الإسلامي

- ٥- ما زال دور الكُتَّاب والمسجد والمكتبة في تاريخنا الوسيط يحتاج إلى مزيد من الدراسات الجادة، ونشر العديد من المخطوطات التي تناولت هذا الدور الحيوي والمؤثر في ثقافتنا وحضارتنا العربية الإسلامية عبر العصور، وفي فترة البحث خاصة.
- وختاماً ..** يمكن القول إن الدراسة استطاعت التوصل إلى أن بغداد عاصمة الخلافة شهدت حركة علمية قوية تمثلت في وجود (٢٥٨٠) عالماً وعالمة شكّل البغداديون (١١٩٠) عالماً وعالمة منهم، بينما كان إجمالي الوافدين (١٣٩٠) عالماً وعالمة وكان لهم نشاطات علمية مختلفة.
- وفي النهاية:** لا يسعني إلا أن أشكر الله سبحانه وتعالى أن أعانني على إلقاء بعض الضوء على فترة تاريخية مفصلية من تاريخنا أدعي أنها كانت مجهولة إلى حد كبير، وقد اجتهدت .. فإن أصبْتُ في أجران، وإن أخطأتُ في أجرٍ واحد .. ويكفيني شرف المحاولة والاجتهاد .. والحمد لله من قبل ومن بعد.